

جهود المحدثين الجزائريين في خدمة الموطأ

د. مصطفى حميداتو

كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة

وسأركز في تناولي لهذا الموضوع،
بعد المقدمة التي نحن بصددتها، على
المطالب الآتية:

- عناية المغاربة بالموطأ
- أوائل المحدثين الجزائريين الذين
سمعوا من الإمام مالك أو من بعض
تلاميذه.

- جهود محدثي الجزائر في خدمة
الموطأ.
- الخاتمة.

أولا : عناية المغاربة بالموطأ: لم يحظ
أي كتاب عند المغاربة بعد كتاب الله

اهتم محدثو الجزائر بكتب السنة
وأولوها عناية خاصة، فرحل عدد كبير
منهم إلى المشرق، ولقوا العلماء والمحدثين
فأفادوا واستفادوا، وأخذوا أمهات كتب
الحديث وعلومه، وراحوا ينشرونها في
بلادهم، وعكفوا على دراستها دراسة
معمقة شرحا لمعانيها وبيانا لأحكامها
وتوضيحا لغريبها وتعريفا برجالها.

وكان لموطأ الإمام مالك بن أنس
رحمه الله نصيب وافر من العناية والقبول
لدى علماء المنطقة عموما وعلماء
الجزائر على وجه الخصوص.

معاوية الداخل، فسمع من مالك بن أنس الموطأ، ذكر ابن الفرضي أنه كان يحفظ الموطأ، ظاهراً. توفي رحمه الله سنة 199هـ.

3 — زياد بن عبد الرحمن اللخمي:

المعروف بزياد شبطون، سمع من مالك الموطأ، وله سماع هو معروف بسماع زياد. قال المقرئ في نفع الطيب: «هو أول من أدخل موطأ مالك بن أنس إلى الأندلس مكملًا متقناً». توفي رحمه الله سنة 204هـ.

4 — يحيى بن يحيى بن كثير بن

وسلاس الليثي: سمع من زياد بن عبد الرحمن الموطأ، ثم رحل إلى المشرق وعمره 28 سنة، فسمع من مالك الموطأ غير أبواب من كتاب الاعتكاف شك في سماعها من مالك فأثبت روايته فيها عن زياد. وكانت وفاته سنة 234هـ.

وقد عكف العلماء المغاربة على دراسة الموطأ دراسة معمقة، شرحاً

تعالى، بما حظي به الموطأ من عناية، فقد رحل عدد كبير من علمائهم إلى المشرق، ولقوا بدار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله فأخذوا عنه الموطأ وتعرفوا على مذهبه وأعجبوا به، وراحوا ينشرونه في بلادهم.

وكان الموطأ قد دخل المغرب الإسلامي في أيام عبد الرحمن بن معاوية الداخل.

ومن المغاربة المشهورين برواية الموطأ عن الإمام مالك نذكر الآتي:

1 — أبو الحسن علي بن زياد

العبيسي التونسي: ثقة مأمون خيار متعبّد بارع في الفقه سمع من مالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم، سمع منه أسد بن الفرات وسحنون وخلق — روى عن مالك الموطأ توفي رحمه الله سنة 183هـ.

2 — أبو محمد غازي بن قيس:

الذي رحل في أيام عبد الرحمن بن

ولمعاينه وبياناً لأحكامه، وتوضيحاً لغريبه، وتعريفاً برجاله.

ثانياً : أوائل المحدثين الجزائريين الذين سمعوا من الإمام مالك أو من بعض تلاميذه:

وقبل التطرق لجهود المحدثين الجزائريين في خدمة الموطأ، نلقي الضوء في بداية هذا المبحث على الأوائل منهم الذين رحلوا إلى المشرق وسمعوا من الإمام مالك أو بعض تلاميذه.

1 — أبو الوليد مروان المسيلي هو ابن أبي شحمة: مولى آل عامر بن نافع، كان ثقة مستجاباً فاضلاً معادياً لأهل الأهواء. سمع من عبد الرحمن بن مهدي ومن وكيع بن الجراح. وسمع منه أبو حفص أحمد بن وزان الصواف. كان موته قريباً من سنة 240 هـ.

2 — أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن صهر أو (سهل) بن أبي إسماعيل الزناتي التاهري: من أشهر علماء الجزائر

وأدبائها ولد ونشأ بتيهت حوالي سنة 200 هـ. أخذ العلم والأدب من علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان فأخذ عن سحنون بن سعيد، دخل بغداد سنة 217 هـ فأخذ عن مسدد بن مسرهد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر. قال عنه البكري: «كان ثقة مأموناً حافظاً للحديث»، وقال ابن عذاري: «كان عالماً بالحديث وتمييز الرجال وشاعراً مفلحاً»، تصدر بجامع القيروان لإملاء الأدب والعلم سنة 274 هـ فارتحل إليه الكثير من أهل الأندلس للأخذ عنه والتخرج على يده وكان منهم قاسم بن أصبغ البياني. وكان مجلس ابن حماد حافلاً بطلبة العلم على مختلف مذاهبهم، وكانت عودته إلى بلده تيهت سنة 295 هـ، ثم كانت وفاته بقلعة ابن حمة شمال مدينة تيهت في شوال سنة 296 هـ.

3 — أبو القاسم الزواوي رحمه الله: قال أبو العرب: سمع مالك وروى

ثالثاً : جهود محدثي الجزائر في خدمة الموطأ:

في هذا المطلب نتعرف على طائفة من المحدثين الجزائريين الذين كانت لهم عناية بموطأ للإمام مالك رحمه الله، فنذكر اسم المحدث وكنيته وسنة الميلاد والوفاة، وعنم أخذ العلم، ثم نذكر جهوده في خدمة الموطأ مع التنبيه على المطبوع والمخطوط وما هو في عداد المفقود.

1 — شيخ الإسلام أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني: أصله من مدينة المسيلة وقيل من بسكرة. سكن طرابلس الغرب ونزل تلمسان فأقام بها إلى وفاته، توفي رحمه الله سنة 204هـ. ألف العديد من المؤلفات النافعة منها على الخصوص:

— النامي في شرح الموطأ: توجد منه نسخة بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم: 527.

عنه حديثاً لم أعلمه رواه عنه غيره. قال حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر، قال قال رسول الله ﷺ: ((لما خلق الله عز وجل الجنة حفها بالرياحين...)) الحديث.

4 — الفضل بن سلمة البجائي:

الحافظ الحجة الفقيه الضليع الفضل بن سلمة بن جرير الجهني البجائي، أخذ عن مشيخة بلده ثم ارتحل إلى إفريقيا فلقى بها ابن مجلون والمغامي وأحمد بن سليمان ويحيى بن عمر، أخذ عنه ولده أبو سلمة، وأحمد بن سعيد بن حزم وسعيد بن عثمان. ألف: مختصر المدونة والواضحة والموازية. توفي سنة 913هـ.

بعد هذا العرض الموجز حول عناية المغاربة بالموطأ، وأوائل المحدثين الجزائريين الذين سمعوا من الإمام مالك أو من بعض تلاميذه، نتطرق فيما يلي إلى أشهر علماء المغرب الأوسط (الجزائر) الذين خدموا موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

البخاري كلاهما تأليف أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي التلمساني أنبأنا بهما أبو علي الفاضلي عن أحمد بن أبي طالب عن جعفر بن علي عن محمد بن عبد الرحمن الحضرمي عن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب عن يوسف بن عبد الله النمري (يعني ابن عبد البر) عنه إجازة».

2 - مروان بن علي البوني: العلامة

الفقيه الصالح أبو عبد الملك مروان بن علي أو محمد الأسدي القطان البوني، نسبة إلى بونة (عنابة) من أكبر مدن الساحل الشرقي للجزائر، وهو خال أبي عمر القطان الفقيه. سكن قرطبة وروى عن أبي محمد الأصيلي والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس وغيرهما. وأخذ عن أبي الحسن القابسي وأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني.

له تفسير الموطأ قال ابن خير في

وقد أفادني الأستاذ عبد العزيز دخان حفظه الله بأن المخطوط المشار إليه ليس للإمام الداودي، بل هو لتلميذه مروان بن علي البوني رحمه الله وقام الأستاذ عبد العزيز دخان بتحقيقه، وهو على الأرجح في طريقه للطباعة.

— وله كتابه الحافل الموسوم بـ:

النصيحة، شرح فيه صحيح الإمام

البخاري، الذي قال فيه المؤرخ العلامة عبد الرحمن الجليلي حفظه الله بأنه أول شرح وضع على هذا الكتاب.

— ولالإمام الداودي **تفسير القرآن**

المجيد تداوله العلماء، فنقلوا عنه، منهم الثعالبي في تفسيره: الجواهر الحسان.

— وله كتاب في الأصول وآخر في

الأموال ومؤلفات أخرى.

وقد استفاد شراح كتب السنة قديما وحديثا من كتب الإمام الداودي. قال شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله: «كتاب شرح الموطأ وكتاب شرح

وهو أديب شاعر مؤرخ فقيه له العديد من المؤلفات منها:

- شرح الموطأ للإمام مالك.
- تاريخ القيروان.
- العمدة في صناعة الشعر.
- الشذوذ في اللغة.
- ميزان العمل في تاريخ الدول.
- أنموذج الزمان في شعراء القيروان.

- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وغيرها من المؤلفات النافعة.

4 - محمد بن تومرت: محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد المعروف بالمهدي بن تومرت من أهل السوس بالمغرب. وصل إلى بجاية سنة 511هـ، نزل بمسجد الرياحنة حيث اتخذ به مدرسة لتدريس العلم، ثم خرج إلى مكان غير بعيد منها يسمى رباط ملالة وبها التقى بعبد المؤمن بن علي (التمساني) مؤسس الدولة الموحدية،

فهرسته: كتاب تفسير الموطأ لأبي عبد الملك مروان بن علي البوني رحمه الله، حدثني به الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله إجازة، قال قرأت بعضه على أبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، وأجاز لي باقيه، وحدثني به عن أبي عبد الملك البوني مؤلفه رحمه الله، قال أبو محمد بن عتاب: ولي فيه زيادات واختصار والحمد لله.

3 - الحسن بن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي المشهور بالقيرواني لطول مكوثه في مدينة القيروان. ولد سنة 390هـ بمدينة المسيلة عاصمة الدولة الحمادية التي حكمت الجزائر ما بين 1007م و1152م. انتقل إلى القيروان سنة 406هـ فمكث بها إلى أن جاءت الحملة الهلالية فغادر إلى مازرة بصقلية التي توفي بها سنة 463هـ، وهي السنة التي توفي فيها حافظ المغرب ابن عبد البر القرطبي.

الدراسات

من عبد المؤمن بن علي الذي أملاه، إلى مالك بن أنس رحمه الله.

منه أربعة نسخ مخطوطة:

1 - نسخة قديمة بالجزائر نشرها

المستشرق جولد زيهر بالجزائر سنة 1905م وتحمل عنوان «موطأ الإمام المهدي».

2 - نسخة بخزانة القرويين تحمل

رقم 181/04 مكتوبة على الورق، وتحمل عنوان «محاذي الموطأ».

3 - نسخة بالخزانة العامة بالرباط

رقن 840 مكتوبة على الورق، تاريخ نسخها سنة 445هـ وهي تحمل عنوان «موطأ المهدي بن تومرت».

4 - نسخة الخزانة العامة بالرباط

رقم 1222 تاريخ نسخها سنة 597هـ عنوانها «موطأ الإمام المهدي».

5 - حسن بن عبد الله الأشيري:

حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب يعرف بابن الأشيري ويكنى أبا علي.

وبقي بها إلى إن عاد إلى مسقط رأسه سنة 514هـ مرورا بتلمسان.

وإنما ذكرته ضمن هذه الكوكبة من

علماء الجزائر الذين خدموا الموطأ للإمام مالك رحمه الله لمكوته في حاضرة بجاية واتخاذها مركزا لتدريس العلوم. إضافة إلى ذلك فإن ابن تومرت التقى في هذه

المدينة العريقة بالعالم المجاهد عبد المؤمن بن علي التلمساني مؤسس دولة الموحدين في المغرب الإسلامي، والذي حمل معه عبء الدعوة. وبه وبعبء المؤمن انطلقت دعوة الموحدين انطلاقتها الثابتة من بجاية نحو المغرب الأقصى.

ولابن تومرت كتاب شهير هو:

محاذي الموطأ، وهو كتاب اختصر فيه

المهدي موطأ الإمام مالك من رواية يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي، واقتصر على الراوي الأخير للحديث بعد حذف بقية السند، وهو ثابت النسبة لابن تومرت حيث يحمل في أوله السند كاملا

من أهل تلمسان نشأ بها، ثم انتقل إلى الأندلس قبل سنة 540هـ، أخذ بالمرية من ابن يسعون وغیره وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب يغلب عليه الأدب وكان ناظماً ناثراً له عدة مؤلفات منها:

مجموعة في غريب الموطأ:

ومختصر في التاريخ سماه نظم الآلي وقصيدته في غزوة السبطاط مستجادة وكانت سنة 965.

له شعر في زاد المسافر.

6 - محمد بن عبد الحق بن سليمان

اليفرني البطوني التلمساني الندرومي الكومي ولد سنة 536 أو 537هـ، من أهل تلمسان.

أخذ عن ابن بشكوال خلف بن عبد الملك صاحب الصلة، وأبي طاهر السلفي أحمد بن محمد، وعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي صاحب الروض الأنف،

وعلي بن عبد الله لن خلف المعروف بابن النعمة، صاحب كتاب: «الإمعان في شرح النسائي أبي عبد الرحمن. له كتاب: الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، وهو كتاب مطبوع بمكتبة العبيكان بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

توفي رحمه الله في بلده تلمسان سنة 625هـ

وله من المؤلفات أيضاً:

المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار: وهو كتاب جمع فيه المؤلف بين كتاب المنتقى لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، وكتاب الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، للحافظ ابن عبد البر. وأضاف إليه أيضاً فوائد ونكت من التمهيد لابن عبد البر.

المشروع المهيأ في ضبط مشكل
رجال الموطأ.

9 - أحمد بن المكي السدراتي: أبو

العباس: أحمد بن الحاج المكي السدراتي،
نسبة إلى قبيلة سدراتة التي كانت تسكن
مدينة تيارت. وعند دخول الهلاليين بلاد
المغرب، فرت قبائل سدراتة ولجأت إلى
عدة مناطق منها سدراتة الواقعة قرب
مدينة ورقلة، ومنها مدينة سدراتة
الواقعة في ولاية سوق أهراس. السلاوي
المالكي المتوفى سنة 1253 ثلاث وخمسين
ومائتين وألف، محدث فقيه له:

شرح الموطأ للإمام مالك (تقريب
المسالك في شرح موطأ الإمام مالك)
مخطوط الخزانة الحسنية رقم 1663.
وقد قامت بتحقيقه الدكتورة وداد
العيدوني الأستاذة بكلية الحقوق بطنجة
المغرب.

وله أيضا:

برنامج سماه «الإقناع في كيفية
السماع»

7 - عيسى بن مسعود الزواوي: أبو
الروح عيسى بن مسعود بن المنصور
بن يحيى المنكلاقي الحميري الزواوي،
ولد بزواوة سنة 664هـ / 1265م.
أفقه من ببجاية حيث حفظ موطأ الإمام
مالك وغيره. له كتاب: مناقب الإمام
مالك (طبع مع كتاب تزيين الممالك
بمناقب الإمام مالك للسيوطي).

8 - محمد بن الحسن بن مخلوف
الراشدي، وشهر والده بأبركان:
أبو عبد الله، فقيه مالكي ومحدث من
أهل تلمسان وبها نشأ وتعلم. أخذ عن
الإمام ابن مرزوق وأبي الفضل العقباني
ومحمد بن عمر الهواري وإبراهيم التازي
وغيرهم.

له العديد من المؤلفات في رجال
كتب الحديث منها:

الخلاصة:

وتكمن الأهمية العلمية لهذه المؤلفات، في العناية والقبول الذي وجدته لدى علماء الأمة شرقاً وغرباً، والاقتراسات العديدة للعلماء منها.

والملاحظ على هذه المؤلفات، أن العديد منها ما زال مخطوطاً في أدراج الخزائن العامة والمكتبات، الأمر الذي يستدعي توجيه الباحثين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه لدراسة هذه المخطوطات وتحقيقتها، حتى يتسنى لطلبة العلم والباحثين الاستفادة منها.

وأخيراً أسأل الله العليّ القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هذه باختصار بعض الجهود التي بذلها علماء الجزائر في خدمة موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.

ولا يعتبر هذا العرض بمثابة المسح الكلي للمؤلفات الجزائرية حول هذه الكتاب، وإنما هو سرد لما أمكن توثيقه منها.

وقد بذل محدثو الجزائر جهوداً كبيرة في خدمة كتب السنة الأخرى، لكنها لا ترقى إلى الاهتمام الذي أولوه للصحاح الثلاثة.

ونظر لتداخل دول المغرب العربي، ولخضوعها في فترات مختلفة من الزمن لحكم مركزي واحد، ونظراً لتنقل علمائها بين حواضرها المختلفة، فإن العديد من العلماء ينسب إلى أكثر من بلد أو مصر.

